جامعة8 ماي 1945قالمة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

مقياس : فلسفة اللغة

السنة الثانية دراسات لغوية الأفواج:4/3/2/1

الأستاذة: لطيفة روابحية

عنوان المحاضرة: فلسفة اللغة عند العرب

بلغ الفكر العربي أَوجه على العهد العباسي الأوّل، حيث تمّ تدوين العلوم الدّينية، والعلوم اللغوية، و حتّى العلوم العقلية، ومن هذه العلوم ما كان عربيًّا بحتا، كعلم أصول الفقه، والنّحو، ومنه ما كان وافدًا من الثّقافات الأجنبية.

وكانت الفلسفة من أهمّ العلوم الوافدة على الفكر العربي عموما، وذلك بسبب تطوّر حركة التّرجمة في العصر العبّاسي، ولا سيما في عهد الأمين بن هارون الرّشيد، ودور بيت الحكمة الذي أسّسه في تنشيط الحركة العلمية عامة، والتّرجمة بخاصة.

و من خلال التّرجمة أخذت الفلسفة سبيلها إلى الفكر العربي الإسلامي، و كان ذلك من خلال ترجمة أعمال أرسطو، و تلخيصها عند معظم فلاسفة الإسلام، وخاصة الفارابي، وابن سينا، وابن رشد...

ثمّ إنّ مقارنة سريعة بين ما طرحه اليونان على اللغة، وما طرحه المسلمون يبيّن مدى استمرار بعض المسائل، كمسألة : أصل اللغة و طبيعتها، و كذا العلاقة بين اللغة و النّحو، واللغة والمنطق، فضلا على المسائل السياسية التي نقرؤها في نصوص ابن حزم، مما يدلّ على أنّ التّاريخ الإنساني سلسلة متّصلة

الحلقات، شكّلت فيه الحضارة العربية حلقة بارزة بما نقلته من تراث الحضارات السّابقة لها، و الزّيادة عليه، و حفظه من الاندثار.

ويمكن تفصيل جهود الفلاسفة العرب فيما يتعلق بمباحث فلسفة اللغة على النّحو الآتي:

1-مسألة أصل اللغة

كانت هذه المسألة من أهمّ المسائل التي شغلت فكر الفلاسفة واللغويين، فهي من أقدم المشكلات الفكرية التي جابهت عقل الإنسان، فراح العلماء يبحثون عن أصل نشأتها، وانقسموا إزاء هذه المشكلة إلى قسمين: فذهب بعضهم إلى أنها توقيفية، أي إنّ الله علّمها الإنسان، و يمثّل هذه الجماعة أبن فارس(ت395هـ)، فيقول:" إنّ لغة العرب توقيف، و دليل ذلك قوله عزوجل:" وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة"..."، و ذهب الفريق الثّاني إلى أنها اصطلاحيّة، ودليلهم تطوّر الحياة و تغيرها وهذا التغير يقتضي مسايرة اللغة لكل ما يتصل بالإنسان ما دامت أهمّ خصيصة تميزه من غيره هي اللغة، ومن أشهر من تبنّى هذا الرّأي ابن جني(ت392هـ)، حيث يقول:" وذلك بأن يجتمع حكيمان، أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء و المعلومات، فيضعوا لكل واحدة منها سِمة و لفظا إذا "ذُكر عرف به مسمّاه، ليمتاز عن غيره، و يغني بذكره عن إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله.

2-صلة اللفظ بالمعنى

مسألة اللفظ و المعنى ليست مسألة عربية قديمة، بل يمكن القول: إنها قضية إنسانية، إذْ لا يمكن قصرها على ظهور البلاغة العربية ونشأتها، ذلك أنه كان لها حضور في الفكر الغربي و اليوناني الذي تجسّد في فلسفة أفلاطون و أرسطو، و غيرهم...

ولئن كنّا بصدد عرض جوانب من المسألة ، فإنّنا سنشير إلى الجاحظ(ت255هـ)، الذي تمتدّ تصوراته الأسلوبية و مقاييسه البلاغية في رسوخ نظريته في الكلام، التي تفرز نتيجة أن هذا الأخير لا يعدو أن يكون مظهرا عمليا تطبيقيا للغة المجردة القائمة في نفس الإنسان، وهو صاحب القول الشهير:" المعاني مطروحة في الطريق"، وهو من قال أيضا:" من أراد معنى كريما فليلتمسْ له لفظا كريما، فإنّ "حقّ المعنى الشّريف اللفظ الشّريف.

وذهب بعض البلاغيين و اللغويين و النّقاد أيضا إلى أنّ المعنى أسبق من اللفظ ، و تساءل بعضهم : هل كلّ لفظ يعبّر عن معنى واحد؟ و غيرها من الأسئلة ذات الصّلة بجانب المعنى.

و تطرّق اللغويون في هذا السّياق إلى ظواهر أخرى من نحو: التّرادف، و التّضاد، و المشترك اللفظي، مما له صلة وثيقة بمسألة اللفظ و المعنى و العلاقة بينهما.

3-النّحو و المنطق

سادت قديما فكرة أن لا تعايش بين النّحو و المنطق ، بل لا بدّ من صراع بين النحاة والمناطقة، و لا مجال أن يقفا على أرض واحدة ، فالتّنازع بينهما وجودي ثابت.

غير أنّ إعادة النّظر في المسألة قد يؤدي إلى العزوف عن الآراء الجاهزة و المسلمات القبلية التي تقضي بضرورة المفاضلة بين العلوم واللغات، و في هذا السياق يمكن أن يتحرّر الدّارس من فكرة انتقاد المنطق الأرسطي الذي يُظنّ أنّه حبيس اللغة الإغريقية، وأن النّحو وأصول علم الكلام يمكن فهمها باستبعاد المنطق، كما كان ذلك جليا في أنظمة التّدريس التي كانت تفسح المجال لتدريس النحو و تغليبه على حساب المنطق و تتغييبه.

و لعلّ الفارابي كان أوّل من رأى ضرورة النّحو لدراسة المنطق، فقد تعلّم النحو وأخذه من ابن السّراج (هذا العالم النّحوي البصري)، وقد كان يقرأ عليه صناعة المنطق، فحمله ذلك عاى العناية بالنّحو و ربطه بالمنطق و الفلسفة...

4-اللغة و المنطق

اللغة وعاء المعرفة، ووسيلة الفكر، و أسلوب لتأليف العبارات و الجمل، و أصغر وحدة تأليفية فيها: الجملة ذات المعنى، أما المنطق فهو علم التّفكير و أصغر وحدة منطقية فيه هي المركب التام و يسمى القضيّة، وأما عن غاية كل منهما فإننا نلمس شيئا من المشتبهة إذ يهدف البحث اللغوي إلى الإفصاح عن المعاني، و يقرّر البحث المنطقي تحديد الصواب و الخطأ ومن ثمة الحكم على القضايا و استنتاج بعضها من بعض، والذي لا شكّ فيه أنّ في المنطق ظلّ من اللغة، وفي اللغة ظلّ من المنطق...